



الفلسفة ثانية باك

مفهوم النظرية والتجربة (المحور الأول : التجربة والتجريب)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية

II- الموقف الفلسفی 1 : كلود برنار

1-1/ النص الفلسفی

2-2/ الأسئلة

3-2/ التصور الفلسفی

III- الموقف الفلسفی 2 : روني طوم

1-3/ النص الفلسفی

2-3/ الأسئلة

3-3/ التصور الفلسفی

IV- تركيب

I- الإشكالية

يطرح مفهوم النظرية والتجربة جملة من الإشكالات الفلسفية من بينها الإشكال المرتبط بدور كل من التجربة والتجريب في بناء المعرفة العلمية وصياغة النظريات العلمية، حيث يظهر أن التجربة لها دور أساسي في بناء المعرفة العلمية وفي صياغة النظريات العلمية.

لكن الإشكال هو ما نقصد هنا بالتجربة، وإن كانت التجربة بمعنى التجربة الخام القائمة على الحواس أم التجربة بمعنى التجريب بما هو مسألة واستنطاق للطبيعة، كما أن الحديث عن التجربة والتجريب دفعنا إلى التساؤل عن دور العقل والتأطيرات النظرية.

- فما هي دلالة كل من التجربة والتجريب ؟
- وأيهما يكتسي الأهمية في بناء المعرفة العلمية وفي صياغة النظريات العلمية، هل هي التجربة بمعنى التجربة الخام أم هي التجربة بمعنى التجريب ؟
- وهل القول بأهمية التجربة نفي لأهمية دور العقل ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : كلود برنار

1-2/ النص الفلسفي

التجريب إنطات للطبيعة

على العالم الذي يريد الإحاطة بمجموع مبادئ المنهج التجريبي أن يستوفي نظامين من الشروط، وأن يتميز بخاصيتين فكريتين، تعتبر كلها ضرورية لتحقيق هدفه والتوصل إلى الحقيقة العلمية. أولاً، على العالم أن تكون لديه فكرة يخضعها للفحص في ضوء الواقع، لكنه يكون مطالباً في نفس الوقت بالتأكد من أن الواقع التي تمثل منطلقاً لفحص فكرته هي وقائع صحيحة ومنتظمة. لهذا السبب عليه أن يكون ملاحظاً ومحرراً في نفس الوقت. ثانياً، إن الملاحظ يعاين فقط بساطة الظاهرة الماثلة أمامه، فهمه الوحيد هو الحذر من الواقع في خطأ الملاحظة التي قد تؤدي به إلى إدراك غير كامل للظاهرة، أو إلى تعريفها تعريفاً خاطئاً. ولكي تكون معاينة الظاهرة معاينة سليمة يستخدم الملاحظ كل الأدوات التي من شأنها جعل ملاحظته للظاهرة ملاحظة أكثر شمولية.

على الملاحظ أن يكون إذن، أثناء معاينته للظواهر، بمثابة آلة تصوير تنقل بالضبط ما هو موجود في الطبيعة: حيث يجب أن يلاحظ بدون فكرة مسبقة. وعليه أن يصمت وأن ينصت إلى الطبيعة، وأن يُسجل ما تملئه عليه. وبعد معاينة الواقع والملاحظة الجيدة للظاهرة، تبرز الفكرة ويتدخل الاستدلال العقلي، فيظهر المُجَرِّب لتفسيير الظاهرة. إن العالم التجريبي هو الذي يستطيع بفضل تفسير محتمل ومبقى للظواهر الملاحظة أن يؤسس التجربة بحيث تسمح بالتحقق من الفرضية (...)

إن العالم المتكامل هو الذي يجمع بين الفكر النظري والممارسة التجريبية عبر الخطوات التالية:

- 1- يعاين واقعة؛
- 2- ميلاد فكرة في ذهنه تبعاً للمعاينة؛
- 3- انطلاقاً من هذه الفكرة يستدل عليها ويلجأ إلى التجربة بعد أن تصورها ذهنياً؛
- 4- تنتج عن التجربة ظواهر جديدة عليه أن يلاحظها، وهكذا دواليك.

يشتغل ذهن العالم، إذن، انطلاقاً من هذه الخطوات، بين ملاحظتين، تمثل الأولى منطلق الاستدلال العلمي، وتمثل الثانية خلاصة الاستدلال (أي التجربة).

كلود برنار، المدخل لدراسة تطور الطب التجاري. فلاماريون، 1984 ص: 55-51

Claude Bernard, Introduction à l'étude de la médecine expérimentale

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجـه كلود برنار.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن كلود برنار يجيب عنه.

2- أبني أطروحة كلود برنار من خلال :

- تفكير فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب كلود برنار عن الإشكال المطروح :أ هو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة كلود برنار وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهننته أم أصبح متتجاوزاً.
- بيان طبيعة الحاجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعاً من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفية

يرى كلود برنار أن معرفة قوانين الطبيعة تستوجب اتباع خطوات دقيقة وهي خطوات المنهج التجاري، المتكون من الملاحظة والتي يجب أن تكون منظمة دقيقة وليس عفوية، ومن ذلك تتولد الفرضيات التي هي بمثابة إجابات مؤقتة قد تكون صحيحة كما يمكن أن تكون خاطئة، ولأجل اختبارها للتيقن منها يجب اعتماد التجربة والتي تشكل لحظة اختبار الفرضيات للاحتفاظ بالصحيحة منها، والتي ستتشكل قانوناً مفسراً للظاهرة.

إن لهذا الموقف قيمة معرفية من حيث دعوته للتركيز على منهج علمي قائم على خطوات دقيقة ويمكن من قوانين ثابتة، ويحول دون تدخل الذات لإسقاط مشاعرها وأفكارها على موضوع البحث، الشيء الذي أنتج أفكار علمية دقيقة قابلة للتكميم والتعميم وليس أفكار خاصة بفرد بعينه.

III- الموقف الفلسفى 2 : روني طوم

1-3/ النص الفلسفى

الخيال والتجريب

أعتقد أن واقعة تجريبية لا يمكن أن تكون علمية إلا إذا استوفت شرطين هما:
 أولاً: أن تكون قابلة لإعادة الصنع، وهذا يتطلب أن تكون محاضر إعداد التجربة وإجرائها دقيقة بما يكفي للتمكن من إعادةتها في أزمنة وأمكنة أخرى (...)
 ثانياً: أن تثير اهتماماً قد يكون تطبيقياً عملياً أو نظرياً. يستحب الاهتمام التطبيقي ل حاجيات بشرية، أما الاهتمام النظري فإنه يعني أن البحث يدخل ضمن إشكالية علمية قائمة (...)
 وفي هذه الحالة، يكون الهدف من التجريب حسب التصور التقليدي هو التحقق من صدق أو صحة فرضية ما: فمن أين تأتي الفرضية؟
 لا وجود لفرضية بدون وجود شكل من أشكال "النظرية". وتتضمن النظرية دائماً كيانات خيالية يتم التسليم بوجودها. ويتعلق الأمر هنا بالعلاقات السببية التي تربط السبب بالنتيجة. وتهدف التجربة إلى إثبات أو تكذيب وجود كيانات نظرية مسلم بها أو متواجده (...).
 لقد ذهب المؤسس التاريخي للمنهج التجريبي "فرانسيس بيكون" **I** إلى الاعتقاد بأن استخدام التجريب يتيح وحده التحليل السببي لظاهرة من الظواهر، وهذا وهم.
 إن التجريب وحده عاجزٌ عن اكتشاف سبب أو أسباب ظاهرة ما. ففي جميع الأحوال ينبغي إكمال الواقع بالخيالي. هذه القفزة نحو الخيالي هي أساساً عملية ذهنية، أو تجربة ذهنية، ولا يمكن لأي جهاز آلي أن يعوضها (...).
 لا يمكن للتجريب، ليكون علمياً وذا معنى، أن يستغني عن التفكير، غير أن التفكير عملية صعبة تنفلت من كل رتابة ومن كل منهج.

روني طوم، فلسفة العلوم اليوم، جوتو فيلار، 1986، باريس، ص: 12-13
 René Thom, Philosophie des sciences d'aujourd'hui.

2-3 / الأسئلة

- 1- أبني الإشكال من خلال :
 - إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالج روبي طوم.
 - صياغة السؤال الذي يفترض أن روبي طوم يجيب عنه.
- 2- أبني أطروحة روبي طوم من خلال :
 - تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
 - تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ...).
 - استخلاص جواب روبي طوم عن الإشكال المطروح : فهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟
- 3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :
 - استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.

- ترتيبها في شكل خطاطة بدءاً من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3 / التصور الفلسفـي

ينتقد روني طوم القائلين بإطلاقية المنهج التجريبي وصلاحيته اللامتناهية في الكشف عن القوانين الطبيعية، وذلك لأنَّ الظواهر الطبيعية دائمة التحول والتغير، فهناك ظواهر يصعب القبض عليها وإخضاعها لخطوات المنهج التجريبي بصيغته الكلاسيكية، وبالأخص تلك الظواهر الميكروسكوبية، وبالتالي من الوهم الاعتقاد أنه منهج مطلق، ثم لأنَّه مهما بلغت قوَّة وصلابة المنهج لا يمكنه الاستغناء على كلِّ من التفكير والخيال، لذلك وجب إكمال التجربة المختبرية بالتجربة الذهنية، ليتمكن العالم من بلوغ حقيقة ويقينية حول الظواهر المدروسة.

٧- تركيب

يبني العلم التجريبي قوانينه تبعاً لخطوات منهجية ونظيرية، تجمع بين شروط الملاحظة العلمية ومبادئ التجربة عندما يخضع الفرض لمبدأ التحقق التجريبي.. لكن التجريب بهذا المعنى لا يشكل مقوماً وحيداً في تفسير الظواهر، إذ لابد من اعتبار عنصر الخيال وإدماجه في عملية التجريب.

إنَّ الخيال هو تجربة ذهنية تمنَح للواقع العلمي غنى كبيراً، فكثير من التجارب اليوم تعتمد الصور بدل الواقع، والأثر بدل الشيء، وهذا ما تؤكِّد عليه الفيزياء المعاصرة، التي تجاوزت مبادئ وتقنيات العلم الكلاسيكي.